أصل المتاعب

هيدلي باركر

(نشرت لأول مرة عام ١٩٢٥م)

كان من المؤلم لهيربرت داوليش، الاعتراف أنه لو لم يكن النادل خاملا لما اضطر لارتكاب جريمة قتل. لم يكن أمام داوليش إلا عشر دقائق، وكان يشعر بالجوع الشديد فدلف إلى المقهى وطلب كوبا من الشاي مع قليل من الكعك المحلي.. تماطل النادل بينما أخذ داوليش يتململ بفارغ الصبر، وخلال خمس دقائق قام بخلع ولبس ساعته عشر مرات، وأخيرا وصل الشاي والكعك فالتهمها خلال دقيقتين، ثم هرع ليلحق بالقطار المتوجه نحو هيرن باي.

عندما اندفع إلى الرصيف كان القطار قد بدأ بالتحرك التوت شفتاه بامتعاض وهو يفكر أنه لن يصل إلى الحانة ولن يقابل الساحليين ويلعب بورق اللعب معهم.

أخذ القطار يزيد في سرعته تدريجيا فأمسك داوليش حقيبته بقوة ثم ركض مصمما على اللحاق بالقطار على أية حال فقد وفق بقفزة كبيرة (وسط صرخات المستخدمين في القطار) للوصول إلى سلم إحدى العربات المتطرفة تثبث (بالدرابزين) لحظة وبعد أن استعاد توازنه فتح الباب وألقى بثقله على أحد المقاعد.

تفحص الرجل الجالس أمامه هيربرت داوليش بعناية لقد كان من النوع المبهرج بدبوس ذهبي على رابطة العنق، وحذاء مدبب..

قال الرجل كلمات تناسب هذه المناسبة عن الخطر الذي تعرض له داوليش بتلك القفزة ثم سرد عليه قصة أحد المتسولين الذي لم يسعفه الحظ كما حدث مع هيربرت وسقط تحت عجلات القطار. "لقد كان منظرا مرعبا لا أرغب برؤيته ثانية"

حدق هيربرت الذي كان بعيدا عن نية القتل بُعد المريخ عن الأرض، حدق بضحيته لم يكن يحب الأغبياء، وهذا الرجل قبالته يبدو تافها، إلا أنه عندما عرض عليه اللعب بالورق معه وافق بحماس.

"لدي مجموعة كاملة" عندما أدخل يده في جيبه اصطدمت بشيء صلب جعله يبتسم ثم قال مازحا وهو يضع مسدسا أوتوماتيكيا على المنضدة: "لا تخف فأنا لست بقناص.. لقد اشتريت هذا المسدس اليوم.. إنني أنتمي إلى نادي هيرن باي كما ترى، وقد يقيم دورة تدريب على الرماية رياضة ممتعة!"

فأومأ الآخر قال: "هل تسمح؟" ثم التقط السلاح وفحصه بعيني خبير "نوع ممتاز وملقم أيضا!"

"نعم.. لقد اشتريت بعض الطلقات معه، إنه آمن، والزناد مرفوع، والآن.. هل نلعب؟ هل تعرف لعبة ستة وستين؟ إنها مناسبة لاثنين"

"حسنا لقد اعتاد يارس لعبها مع جيمي في..."

"هل تسمح بالتوزيع؟"

وأمسك هيربرت داوليش بالأوراق يتمتم: "ماذا عن الرهان؟"

"أوه خمس ضربات في كل مرة"

دهش داوليش، لقد كان هذا أكثر مما اعتاد عليه، لكنه ظن أنه قادر على المواجهة، ثم قسم الأوراق إلى رزم من ثلاث واثنتين وبدأ اللعب. لقد اتضح فورا لداوليش أن رفيقه في اللعب ذا الدبوس الذهبي متمكن من اللعب فقد كانت له تلك الطريقة البارعة في عد الأوراق وتوزيعها حيث أخذ يدخلها ببعضها بعضا، ويقلبها بيديه بعد ذلك لعق إبهاميه وطارت الأوراق بين أصابعه كشعلة ضوء.

دفع داوليش خمسا – عشرا – خمس عشر – خمسا وثلاثين – خمسين.. لقد خسر ستة جنيهات وأربد وجهه متجهما، ثم شد عزيمته بجرعة من قارورة في جيبه، وأطبق أسنانه بقوة وركز بكآبة..

قبل أن يصل القطار إلى كاثام بفترة طويلة، كانت تلك الستة جنيهات قد أصبحت ستا وأربعين، كان داوليش يقامر بجنون ليعوض خسارته.. قبض الخوف قلبه – لقد خسر كثيرا – أكثر مما يستطيع أن يتحمل، وما زال النهار في أوله، وهو مدعو ليقابل آخرين.. فكيف يفعل بجيوب خاوية.

تراجع داوليش إلى الخلف عند السبعين جنيها، ومسح العرق المتفصد عن جبينه بيده المرتعشة.. كان شاحب الوجه ولم يعد يسيطر

على زاوية فمه المرتجفة، لقد كان في حالة يرثى لها قطعا. تمتم قائلا: "أخشى أنني لن أستطيع الاستمرار؛ فلقد خسرت كل قرش"

توقف الرجل البارع عن التصفير في منتصف اللحن ليقول: "حقا؟ حظ سيء أيها الصديق، إلا أنها لعبة جيدة على كل حال.. أليس كذلك؟"

قال داوليش بذل: "اسمع... أنا... إنه طلب سخيف لكن!.. هل يمكنك أن ترد لي النقود؟ أعني لفترة وجيزة، وسأعيدها لك فيما بعد.. لكن الآن.. لا.. أنا.. أنا.."

حدق الرجل البارع بداوليش بدهشة وازدراء ثم انفجر مقهقها: "حسنا.. هذا ممتع، سأذكر ذلك لمدبرة البيت عند عودتي، وستبكي لأجلك.. لا يا صاحبي لست من أنصار الرحمة".

استعطف هيربرت بقوة: "دعني أشرح لك.. لم تفهم ما أريده.. أنا فقط..."

"أوه.. دعنا من هذا الهراء جانبا.. هاي! ماذا.."

أمر داوليش: "ارفع يديك"

ونظر إليه نظرات حانقة من خلف المسدس: "إلى أعلى أكثر!"

وحتى تلك اللحظة لم يكن في نفس داوليش أية نية لارتكاب الجريمة، أراد فقط أن يجبر الرجل على رد النقود.. لقد كان محموما،

ولم يكن ليجرؤ على مواجهة زوجته بمثل هذا الخبر خسارة سبعين جنيها، لكن تظل الأسلحة النارية شيئا خطيرا لا يمكن اللعب به؛ فقد ضاقت عينا الرجل البارع وقام بحركة مفاجئة، فأغمض داوليش عينيه وضغط على الزناد.

كان الموت سريعا ومفاجئا؛ ففي جزء من الثانية وجد داوليش نفسه مع جثة وقد تركت على الجبين حفرة زرقاء عميقة أخذت تنزف على الأرض.

سيطر داوليش على نفسه بجهد وأخذ يفكر بطرق للخلاص.

كان على وشك أن يقذف بالجثة من العربة حين وقعت عيناه على ساعة يد تعطلت ودفعه إلهام مفاجئ لتغيير الزمن الذي تشير إليه إلى الخامسة والنصف، وهكذا سيظن من يراها أن الجريمة حدثت في ذلك الوقت (إلا إذا وجدت الجثة مباشرة) أي في الحالة المبكرة للقطار.

بعد ذلك فتح الباب ونظر حوله بتوفز ثم رمى ما تبقى من الرجل البارع..

لقي داوليش أصدقاءه من المباحث في سكوتلانديارد – في البلدة وحيا هيربرت داوليش بصيحات صاخبة كالعادة بصحبة رجلين معه (فقد كان الرجال الأربعة يلعبون بورق اللعب يوميا في الرحلات منذ عشر سنين)

صاح فينز: "تعال هنا يا وباء الورق أين كنت البارحة بالمناسبة؟"

قال داوليش: "البارحة.. هل تتحرون عن الجريمة التي نشرت في الصحف؟ تلك التي حدثت في الخامسة والنصف"

أومأ سميث الذي كان يتفحص رزمة أوراق اللعب الخاصة بداوليش: "يا للتعس لقد تهشم وجهه تماما كما يقال.. هل تعرف عن هذا يا فينر أكثر مما تقوله الصحف؟"

ابتسم فينز بهدوء: "إنني أعرف الكثير إلا أن البوح غير مسموح به، لقد شاهدت الجثة بعد ساعتين أو ثلاثة من الجريمة، لقد أحضروني من هيرن بالسرعة القصوى"

قال سميث: "يبدو أنك قد فقدت آس المتاعب من مجموعتك يا صديقي داوليش"

كان سميث يدعو الآس السباتي بآس المتاعب لأن السباتي يرمز للمتاعب في اصطلاح العرافة.. قال داوليش: "أعتقد أنه في جيبي"

لكنه تعرض لمتاعب التفتيش من قبل فيبر الذي بدا فجاة مغتما هو يخرج بطاقة من جيبه. وقال: "لا.. ها هو إذا لم أخطئ" ووضع الآس السباتي على المنضدة

هتف سميث: "نعم إنه هو يا للسماء أين وجدته أيها الثعلب العجوز؟"

استدار فيبر إلى داوليش، ونظر إليه ثم وضع يده على ذراعه، وقال "داوليش إن هذا يؤلمني ألما شديد الجمر، لكن علي التنفيذ إنك معتقل؛ فقد وجدنا الآس السباتي في كم الرجل الم